بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وكماله وسلطانه وعونه وإحسانه، فاطر السماوات ، وموجد المخلوقات، ومهيىء البيئات ، ومسير الموجودات.

وصلاة وسلاماً على خير من نطق بالضاد، وألهمه الله الحكمة وفصل الخطاب، وأنزل الله عليه الكتاب، وهداه إلى الصواب ﷺ وعلى الآل والأصحاب، وبعد، ،

فهذه دراسة عن **قضايا البيئة من منظور إسلامى**، استهدفت بحوله تعالى تبصير المسلم برأى الإسلام فى كثير من القضايا البيئية المعاصرة، مع استناد إلى خلفية نظرية يجدر بنا التطويف بها فى البداية.

فالناظر إلى **مفهوم البيئة فى الإسلام** يجد الشمولية فى التكامل، والنظرة المتكاملة التى تجمع بين الجانبين : المادى والمعنوى. بخلاف الفكر الوضعى الذى يقصر مفهومها على الجانب المادى.

فالناحيتان المادية والمعنوية اللتان عنى بهما الإسلام فى نظرته إلى البيئة متحققتان فى كل مجال للنشاط الفكرى، والسلوك العملى المادى.

فالنشاط الفكرى صورة للبيئة المعنوية، والجانب المادى متحقق فى البعد المادى للبيئة، والأمور المحسة من زروع ، وحيوانات ، وطيور، وأرض، وسماء، وجبال، وصحارى .

والدقة فى نظرة الإسلام إلى البيئة تتجاوز ذلك كله إلى استحضار البيئات التاريخية عقلياً وعملياً لما فى ذلك من العبر المفيدة للاسترشاد بها فى توجيه سعى الإنسان للاستفادة من الآثار التاريخية الإيجابية والسلبية.

obeikandl.com

قال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الروم].

وقال عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[غافر].

كذلك القصص القرآنى مورد معنوى فكرى؛ تؤخذ منه العبرة من أجل خدمة المصالح الإنسانية، يقول تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ .. ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف].

على أن الفكر الوضعى فى تعامله مع البيئة يقلل من شأن الإنسان، ويعده أحد عناصر البيئة ، حيث اعتبر البيئة هى كل ما يحيط بالإنسان، فى حين أن الإنسان هو أهم هذه العناصر، وهو محور كل التكليفات، وسخر الله له كل المخلوقات بما فى ذلك السماوات والأرض.

يقول تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ... ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية]

والإنسان من قبل ومن بعد مطالب أن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة؛ يجب المحافظة عليها حتى يأتى أمر الله ، يقول تعالى: ﴿ ....وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[الأعراف].

وعدم الإفساد فى الأرض هو جوهر المحافظة على البيئة، وحمايتها من كل ما يضرها ويضر الإنسان نفسه.

فضلاً عن كونه مطالباً بإدراك حقيقة مهمة مؤداها : أن ما فى البيئة من ثروات ومتاع محدود ومعرض للنفاذ، ولما كانت ثروات البيئة معرضة للنفاذ فإن

الإنسان مطالب بعدم الإسراف فى استنزاف هذه الثروات، يقـــول تعالى: ﴿ ... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف].

وإذا كان قد ألمحنا إلى **ثمة جوانب ثلاثة للبيئة** هى : المكانى، والزمانى، والإحيائى، فإن الإنسان يؤثر ويتأثر فى كل هذه الجوانب.

فالجانب المكانى الذى يشمل سطح الأرض، والهواء والماء لا ينفصل عنه الإنسان.

والجانب الزمانى الخاص يتناول تاريخ البيئات القديمة، وتبيان العبر التى ينبغى استخلاصها من تاريخهم ووقائعهم لا ينفصم عنه الإنسان.

أما الجانب الإحيائى بدراسة ما على كوكب الأرض من إحياء ومعرفة ما يحدث لها من ظواهر ، وما بينهما من تأثيرات، وعلاقتها بالبيئات المكانية والمخاطر التى تكتنفها وأسبابها، كل ذلك منوط بالإنسان دراسته وتأمله وحسن التصرف بعد ذلك.

وليس خافياً أن قضية حماية هذه العناصر البيئية المشار إليها آنفاً هى قضية إنسانية، والإنسان هو موضوعها بل هو غايتها ووسيلتها فى الوقت ذاته.

وإذا كانت المشكلة فيما مضى هى حماية الإنسان من البيئة الطبيعية وعناصرها فقد أصبحت اليوم حماية البيئة وعناصرها الحيوية من الإنسان، ولكن من أجل الإنسان نفسه، فالتقدم التقنى رغم ميزاته المتعددة مثلاً فله أثره على صحة الإنسان وسعادته بل وبقائه.

والنظرة التكاملية فى الإسلام **للإنسان والبيئة** نفهم منها حرمة البيئة فى الإسلام، كما تشير النصوص الشرعية، وندرك منها كذلك أن أمن البيئة يستمد قوته وتأثيره من قاعدة التحليل والتحريم التى تقتضى من المسلم الامتثال للأحكام الشرعية التى نهت عن وجوه الجور والعبث والفساد.

ونفهم منها كذلك ارتباط الإنسان بالبيئة، وضرورة صيانة المسلم لها، والتحذير من إهدارها أو إتلافها عبثاً، ومن ثم فقد شرع الإسلام الجزاء الأخروى والدنيوى الذى يحمى البيئة، ويصونها من التدمير والعبث.

على أن المتأمل لأمور البيئة على إطلاقها ينبغى أن يستقر فى خلده أن شمولية الإسلام وتعاليمه وتكامل نظمه تنسحب على كل ما يتصل بالبيئة، التى عنُى الإسلام بتهيئتها ونقائها وصفائها، وجعل الأخلاق بقوانينها مدعاة لظهور الفساد.

يقول تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾** ﴾[الروم].

ولن تجد ديناً ولا تشريعاً ولا فكراً اتسم بتكامل النظرة إلى البيئة مثل الدين الإسلامى القويم، الذى ما أن يهمنا نظرنا تجاه أى قضية من قضاياه إلا ووجدنا تشريعات وقائية، وأساليب علاج قوية لكل ما ينشأ من مخاطر تهدد البيئة، والإسلام من قبل يقضى على ظهورها فى مهدها فى حالة الأخذ بتعاليمه، بدل أن نبحث عن العلاج بعد استفحال الداء، فالإسلام يقدم بتعاليمه أنماطاً من التوجيهات الرشيدة تقى البيئة من كل ما يهدد استقرارها، وحلولاً واقعية وفق منهج الله ، يقول الله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾** ﴾[الأنعام].

وبين أساليب الوقاية وأنماط العلاج يتضح منهج الإسلام فى التعامل مع قضايا البيئة المعاصرة التى تحاول هذه الدراسة تأصيلها وبحثها بشىء من التدقيق والتركيز والتكامل.

وتأتى هذه الدراسة استجابة لتقديم رؤية إسلامية متكاملة حول قضايا البيئة ولتحقيق هذا الهدف فقد عولجت مادة هذه الدراسة فى أربعة فصول: عرض من خلالها لأكثر من **عشرين قضية بيئية معاصرة**؛ اكتنزت فى داخلها، ودار فى فلك معالجتها عشرات القضايا الفرعية الأخرى.

وحرص على تقديم مادة علمية موثقة؛ استعين فى سبكها بالمخزون الخبرى للباحثين؛ فضلاً عن **خمسة وثمانين مصدراً ومرجعا** استخرج الباحثان من كنوزها ما أثرى مادة بحثهما؛ التى وإن جاءت كبيرة فى حجمها؛ فهذا ما اقضته طبيعة المقام لا الزيادة فى المقال.

والسمة الرئيسية لهذه **الفصول الأربعة** كونها سعى من خلالها إلى إحداث التكامل والربط فى المعالجة؛ فقد يرد الموضوع الواحد فى عدة مباحث بمعالجات مختلفة، وبإشارات اقتضتها منهجية العرض؛ الذى سعى الباحثان من خلاله إلى اتباع المنهج العلمى فى الكتابة البحثية، وفى رصد القضايا البيئية، مما سنفصل بيانه فيما يلى:

فقد استهلت المعالجة فى الفصل الأول؛ الذى جعل عنوانه **(مدخل لدراسة البيئة فى المفهوم الإسلامى)** بيان مفهوم البيئة بصورة عامة؛ بتناول دلالتها اللغوية، ثم إيراد المعانى المتعددة لها، مع الخلوص إلى المفهوم الحديث للبيئة، وبيان الاستخدامات الشائعة للبيئة فى ثمانية أنواع للبيئات ، هذا ما تناوله المبحث الأول؛ الذى جاء توطئة للمبحث الثانى ، الذى حدد المفهوم الإسلامى للبيئة الذى اتسم كما أشير بالتفرد والتكامل والشمول.

ولتقديم رؤية أشمل لمكونات النظام البيئى من مجموعاته الأربع كان المبحث الثالث؛الذى جاء توطئة للمبحث الرابع الذى يجيب عن سؤال مؤداه: كيف يتعامل الإنسان مع هذه العناصر؟ وهل يتميز المسلم فى تعامله مع البيئة؟ هذا ما أوضحه هذا المبحث الذى تناول علاقة الإنسان بالبيئة من خلال محاور ثلاثة فرعية هى: التسخير والمسخرات، والاستخلاف، وأسس التعامل مع البيئة.

ولأن علاقة الإنسان بالبيئة تقوم على الاتزان البيئى، فقد خصص المبحث الخامس لتناول قضية الاتزان البيئى من منظور إسلامى، وكى يحافظ الإنسان على هذا الاتزان البيئى يأتى دور التربية البيئية التى عولجت فى المبحث السادس

الذى أوضح بداية مفهوم التربية البيئية، ثم التعريف بالتربية البيئية فى ضوء الاتجاهات العالمية؛ كى يكون ذلك مدخلاً لبيان أهداف التربية البيئية فى الإسلام، ثم مفهوم التربية البيئية فى الإسلام.

وهكذا عالج **الفصل الأول** ست قضايا مهمة، ورغم غلبة الطابع النظرى عليها، فهذا لكونها قضايا تمهيدية تأصيلية.

ولذا جاء **الفصل الثانى** خادماً للفكرة ذاتها، وهذا ما يكشف عنه عنوانه **البيئة فى الإسلام بين الفكر النظرى والتطبيق والعملى**، وقد وقع هذا الفصل فى أربعة مباحث رئيسية؛ فقد أبان المبحث الأول منها (قضية نظرة الإسلام إلى الكون والطبيعة) التى حصرت فى ست نقاط مهمة.

وحفاظاً على معطيات هذا الكون ونعم الخالق وعناصر الطبيعة جاء المبحث الثانى فى الإطار ذاته؛ حيث تناول قضية حفاظ الإنسان على البيئة بمفهومها العام أولاً؛ ثم الحفاظ على البيئة فى التصور الإسلامى، مع إجمال علاقة الإنسان بالبيئة فى ست نقاط كذلك لتحديد المشكلة البيئية، وبيان كيفية مواجهتها والتغلب عليها من خلال رؤية إسلامية تتغلب على **سبع مشكلات**؛ أشير لها فى هذا البحث.

وسعياً لتحديد كيفية حماية البيئة فى الإسلام كان المبحث الرابع الذى عولج فى ست نقاط مهمة؛ شملت الحماية المادية والمعنوية للبيئة، والقواعد التشريعية الإسلامية لحماية البيئة.

هذه القضايا الأربع التى شملها **الفصل الثانى**، والتى جمعت بين الفكر النظرى والتطبيق العملى؛ مهدت **للفصل الثالث** الأكثر تنوعاً، والذى تناول قضايا بيئية معاصرة فى ضوء الإسلام بين التشخيص والعلاج؛ مما استوجب التدقيق فى اختيار قضايا يغلب عليها طابع المعاصرة، ولذا ضمن هذا الفصل الثالث: عشر قضايا، وهى قضية التلوث، وقضية تغير المناخ، وقضية استنزاف الموارد الطبيعية، ومشكلة التصحر، ومشكلة انقراض العديد من الأنواع

الحيوانية والنباتية، وقضية طبقة الأوزون بين إفساد البشر وتوازن الكون، وقضية سوء استخدام التقنية الحديثة، وقضية نقصان الموارد، وقضية صحة المجتمع، وقضية نظافة البيئة فى الإسلام.

ورغم أن هذه القضايا جميعها فى غاية الأهمية، فإن ثمة قضايا منها؛ نالت حظاً أكبر من المعالجة، وذلك لخطورتها، مثل قضية التلوث التى بحثت بتعريف التلوث أولاً، ثم بيان صوره الخمس، ثم تحديد أسباب التلوث من خلال محاور ثلاثة هى: تلوث الغنى، وتلوث الفقر، أسباب تلوث الهواء، وأسباب تلوث الماء، ثم بيان علاج التلوث وفق الشريعة الإسلامية، ولذلك جاءت قضية التلوث فى صدر هذا الفصل الثالث تأكيدا لأهميتها، وختم الفصل كذلك بقضية مهمة هى **نظافة البيئة فى الشريعة الإسلامية**، ونالت هى الأخرى قسطاً وافراً من المعالجة التى جاءت فى أربعة محاور من شأنها تحقيق نظافة البيئة، وهى تجنب تلويث مجارى المياه، وتطهير الأفنية والمساجد، وإماطة الأذى عن الطريق والأسواق وغيرها، وأخيراً تجنب المعاصى ولم يغب ويخف عن الباحثين عرض هذه القضية ببيانان وذلك كيفية المحافظة على الصحة، وبيان أن الوقاية خير من العلاج،وبيان دعائم الطب الوقائى فى الإسلام من خلال أربعة أمور هى : الرياضة البدنية والروحية، وتناول الطيبات وتحريم الخبائث، والصيام،ثم تحريم الزنا واللواط.

ولم يكن **الفصل الرابع** أقل أهمية من الفصول الثلاثة السابقة فقد عرض لقضيتين ذاتى صبغة اجتماعية وفردية، جاء عنوانه دالاً على ذلك **(قضايا قيمية فى التعامل مع البيئة من منظور إسلامى)** ، فقد تناول المبحث الأول قضية أمن البيئة فى الإسلام والنهى عن الفساد والإفساد؛ فأبان تحريم الشريعة الإسلامية للإفساد فى الأرض، وتحريم الإسلام للإسراف، ومصدر حرمة البيئة فى الإسلام، وحماية حقوق الإنسان وحياته، وحماية الزمن باعتباره من عناصر البيئة.

أما المبحث الثانى من هذا الفصل فقد تناول قضية الاعتدال باعتبارها من القيم البيئية فى الإسلام، ثم أردف ببيان موقف الإسلام من التبذير ، ونهى الإسلام عن الترف، وبيان أسبابه وصوره، وكيف عالجه الإسلام.

وهكذا ختمت الدراسة بدعوة **الإسلام إلى الاعتدال** الذى هو سلوك بيئى إسلامى مرغوب فيه كما أنه مدعاة لاستدامة النعم، والذى هو سمة الفرد المسلم، والأمة الإسلامية ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴿١٤٣﴾** ﴾[البقرة].

وبعد، ،

فالحمد لله على تمام نعمائه، وكريم عونه وفضله، وعظيم إحسانه.

وصدقاً مع النفس، وسعياً للإجادة والتمييز، لم يدخر الباحثان وقتاً ولاجهداً ولا فكراً ولا نفقة فى سبيل إنجاز عملهما، فلم تسترح لهما فكرة، ولم تخمد لهما خاطرة، ولم يستقر لهما مضجع، أثناء إعدادهما هذا البحث.

فاللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت إذا شئت تجعل الصعب سهلاً، فاللهم سهل أمرنا، ويسر مهمتنا، وافتح لنا فتحاً من عندك، وألهمنا الرشاد والسداد والصواب فى القول والعمل، أنك نعم المولى ونعم النصير.

اللهم اجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم، واغفر به ذنوباً، وارفع به درجاتنا، وأثقل به موازيننا.

اللهم سدد خطواتنا، وأقل عثراتنا، وصوب زلاتنا، وأصلح يا أكرم الأكرمين فساد قلوبنا وكتاباتنا، وافتح اللهم لنا الدروب، واشرح لنا الصدور، ﴿ **...رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾** ﴾[البقرة].

الباحثان